وما دام لكل لغة لهجاتها — كما يقول دى سوسير — وأن اللغة المشتركة تسير مع اللهجات جنباً إلى جنب — كما هو رأى فندريس — فإن من الأمور العادية أن يحدث بين المستويين تبادل يشمل معانى الكلمات والصيغ وطريقة تأليف الكلام، ويتأثر الاستعمال فيهما بالعادات النطقية للآخر، وهذا التأثير والتأثر دائم الحركة والاستمرار، ومع ذلك يبقى مستوى المشتركة واللهجات متميزاً، يحرسه الاستعمال نفسه، فإن انتقال عناصر لهجية إلى الفصحى يبقى منسوباً إلى أصله اللهجى المحصور ما لم تتمثله اللغة المشتركة، ويشيع استعماله فيها، ومتى تحقق له ذلك، فإن نسبته إلى أصله اللهجى تبقى قائمة تاريخيا فقط، أما بعد الانتقال للفصحى، فإنه يصبح عنصرا جديدا من عناصر المشتركة بتمثلها له والموافقة على استعماله، وكذلك الأمر بالنسبة لما تتأثر به اللهجات من عناصر اللغة المشتركة، فإن الاستعمال هو الحكم أيضا فى قبول تلك العناصر أو رفضها.

• يقول فندريس: إذا اتفق لبعض العناصر المحلية أن تدلف إلى اللغة المشتركة، فليس معنى هذا أننا نواجه بقايا لهجية أو أمام لهجة جديدة فى سبيل التكوين، بل تواجه اللغة المشتركة نفسها فى مظهر محلى (١).

ومعنى هذه العبارة أن هذه العناصر اللهجية التى استعملت فى المشتركة لا ينظر إليها بعد هذا الاستعمال على أنها — بتعبيره — بقايا لهجية، بل هى من اللغة المشتركة نفسها وإن ارتبطت بأصلها المحلى باعتبار نسبتها التاريخية.

والخلاصة أن التأثير والتأثر — فى أية لغة — بين المشتركة ولهجاتها أمر واقع مستمر، ومع ذلك لا يؤدى إلى الخلط بين المستويين فى اللغة إذا أخذ فى الاعتبار موافقة الاستعمال نفسه على القبول أو الرفض.

---

(١) السابق ص ٣٣٦.